مجلة معهد الإمام الشاطبي

الفرار في ضوء القرآن الكريم

د. عائشة بنت محمد بن مبخوت الحمدان

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية للبنات بالمزاحمية – جامعة شقراء.

- من مواليد عام ١٣٩٩هـ بمدينة الأفلاج بالمملكة العربية السعودية.
- تخرجت في كلية التربية بجامعة الأميرة نورة بالرياض عام ١٤٢٢هـ.
- نالت شهادة الماجستير من قسم الثقافة الإسلامية –كلية التربية بجامعة الملك سعود عام ١٤٢٨هـ بأطروحتها: "**الندم في القرآن الكريم**"، كما نالت شهادة الدكتوراه منه عام١٤٣٥هـ بأطروحتها: "**قواعد الترجيح عند الإمام مكي في الهداية**".
- البريد الشبكي: **aalhamdan@su.edu.sa**

الملخص

يعرض هذا البحث موضوع الفرار في كتاب الله الكريم، مفهومه، ونظائره، وأنواعه، فمنه الفرار المحمود وهو الفرار إلى الله تعالى، وفرار العبد من الشيطان، والفرار بالدين من الفتن والظلم، والفرار جهادًا في سبيل الله، ومنه الفرار المذموم وهو فرار الكفار والمنافقين من الإيمان والدعوة، ومن عذاب الله وعجزهم عن ذلك، وفرارهم من الزحف، ومن الموت. ويعرض هذا البحث أسباب الفرار وهي الفرار خشية الأذية في الدين أو البدن، والفرار بسبب الرعب والهلع، والفرار بسبب الوباء، والفرار لهول الموقف. كما يعرض لعلامات الفرار المحمود كالهجرة ومفارقة محل المعصية، وعلامات الفرار المذموم كتولية الأدبار والركض والنكوص على الأعقاب وانزلاق الأقدام، كما يعرض لآثار الفرار المحمود والمذموم.

وقد نهجت في هذا البحث المنهج الاستنتاجي الاستقرائي، وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أبرز نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم – الفرار– مفهومه – نظائره – أنواعه.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلقد احتوى كتاب الله الكريم على موضوعات جمة، بالغة الأهمية في حياة البشرية، والتي عكف طلبة العلم على دراسة شيءٍ منها، فجمعوا الآيات ذات الموضوع الواحد ودرسوها واستخرجوا ما فيها من دلالات وهدايات، فظهرت لنا دراسات موضوعية تـخدم كتاب الله الكريم وتكشف شيئًا من أسراره وكنوزه، وأصبحت الحاجة ملحة لمثل هذه الدراسات لاسيما في خضم أمواج العصر العاتية ومشكلاته، وبحثي هذا يتناول موضوعًا من موضوعات كتاب الله الكريم وهو موضوع (الفرار) وعنونت له بـ**(الفرار في ضوء القرآن الكريم)** دراسة موضوعية، وقد اخترت هذا الموضوع لعدة أسباب منها:

١. جدة الموضوع، وعدم بحثه استقلالًا، كدراسة علمية، على حسب علمي بعد البحث والسؤال.

٢. حاجة العبد للمسارعة بالفرار إلى ربه ومولاه تعالى؛ لأنه لا أحد ينجو من الوقوع في الذنوب والمعاصي وكلنا ذوو خطأ.

٣. غفلة الكثير من الناس عن قدر الفرار إلى الله وحقيقته.

٤. ورود نظائر، وأسباب، وأنواع، وعلامات، وآثار للفرار في كتاب الله يلزم بيانها والتعرف عليها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في حديث القرآن عن نوعين من أنواع الفرار فرار محمود وهو فرار السعداء إلى الله، وفرار مذموم وهو فرار الأشقياء من الله، وتعدد أسباب كل فرار منهما، وعلاماته، وآثاره، وتفرقها وتنوعها في كتاب الله، مما يستدعي لمّ شتات الموضوع وبيان دلالاته وهداياته.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في المكتبات والمراكز العلمية، وسؤال المختصين لم أجد دراسة مطابقة للموضوع، سوى بعض الكتب الصغيرة والمقالات في الوعظ والإرشاد التي تتحدث عن موضوع التوبة والرجوع إلى الله وترك الذنوب ومن ذلك:

١. كتاب (ففروا إلى الله) لأبي ذر القلموني. وليس له أي علاقة بموضوعنا إذ يبحث المؤلف في آفاق الروح والجسد وما يؤدي إليها وطريق العلاج من هذه الآفاق بالعودة إلى الله تعالى قلبًا وقالبًا وبالتوبة النصوح. وقد تناول هذه المسألة على ضوء البحث في عدة مواضيع منها: التوبة، الدنيا، الموت، الصلاة، الدعاء، الذكر، حكم الإسلام في الغناء، ...الخ[١].

٢. كتاب (حياة السعداء في الفرار إلى الله) لأبي إسلام صالح طه عبد الواحد، وليس له أي علاقة بموضوعنا إذ هو في الأصل مجموعة من الخطب (خطب الجمعة) ألقاها المؤلف في مسجد إبراهيم الحاج حسن - بعمان- و بين فيها حياة السعداء في فرارهم إلى الله تعالى لنتأسى بهم[٢].

٣. المقالات والخطب، احتوت الشبكة العنكبوتية على جملة من المقالات والخطب التي عنون لها كاتبوها بـ (الفرار إلى الله)[٣] أو (ففروا إلى الله)[٤]، والتي تتحدث عن موضوع التوبة والرجوع إلى الله وترك الذنوب، بأسلوب وعظي بعيد كل البعد عن الدراسة العلمية المتخصصة.

---

(١) راجع كتاب (ففروا إلى الله) تأليف: أبي ذر القلموني، ط مكتبة الصفا، ١٤٢٤هـ.

(٢) راجع كتاب (حياة السعداء في الفرار إلى الله) تأليف: أبي إسلام صالح طه عبد الواحد، عمان، الأردن، ١٤٢٩هـ.

(٣) كمقال الدكتور: محمد راتب النابلسي، وعبد العزيز بن ناصر الجليل، والشيخ صالح المغامسي، وأبو إسحاق الحويني، وعمر عبد الكافي وغيرها.

(٤) كمقال: عصام بن هاشم الجفري، والشيخ أحمد بن حسن المعلم، ود. رواء محمود حسين، وغيرها.

أهداف البحث:

١. الوقوف على النظائر القرآنية للفرار في كتاب الله.

٢. بيان أسباب الفرار في القرآن الكريم.

٣. بيان أنواع الفرار والتفريق بينها.

٤. التعرف على علامات الفرار والآثار المترتبة عليه.

خطة البحث:

يحتوي البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهرس:

أولًا: المقدمة:

وتتضمن: أسباب اختيار الموضوع، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، وخطته.

ثانيًا: التمهيد وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الفرار في اللغة والقرآن.

المطلب الثاني: نظائر الفرار القرآنية.

ثالثًا: فصول الرسالة وهي ثلاثة:

الفصل الأول: أنواع الفرار وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الفرار المحمود وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الفرار إلى الله.

المطلب الثاني: الفرار من الشيطان.

المطلب الثالث: الفرار بالدين من الفتن والظلم.

المطلب الرابع: الفرار للجهاد.

المبحث الثاني: الفرار المذموم. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الفرار من الإيمان والدعوة.

المطلب الثاني: محاولة الكفار الفرار من عذاب الله وعجزهم عن ذلك.

المطلب الثالث: الفرار من الزحف.

المطلب الرابع: الفرار من الموت.

الفصل الثاني: أسباب الفرار. وفيه:

أولًا: الفرار خشية الأذية في الدين أو البدن.

ثانيًا: الفرار بسبب الرعب والهلع.

ثالثًا: الفرار بسبب الوباء.

رابعًا: الفرار لهول الموقف.

الفصل الثالث: علامات وآثار الفرار وفيه مبحثان:

المبحث الأول: علامات الفرار وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علامات الفرار المحمود.

المطلب الثاني: علامات الفرار المذموم.

المبحث الثاني: آثار الفرار وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار الفرار المحمود.

المطلب الثاني: آثار الفرار المذموم.

رابعًا: الخاتمة.

خامسًا: فهرس المصادر.

التمهيد

وهو في مفهوم الفرار ويتضمن مطلبان:

المطلب الأول: الفرار في اللغة والقرآن.

أولًا: الفرار لغة.

فَرَّ يفِرُّ فِرارًا: هرب[١] عن الشيء خافه وعن الأمر كشف[٢]. وتفارُّوا أي تهاربوا[٣]. والفِرّ والفِرار: الروغان والهرب[٤]. وفي حديث الهجرة: قال سُراقة بن مالك حين نظر إلى النبي ﷺ وإلى أبي بكر رضي الله عنه مهاجرين إلى المدينة فمرا فقال: هذان فِرُّ قريش أفلا أرد على قريش فِرَّها؟[٥] يريد الفارين من قريش[٦].

وفي حديث عاتكة بنت عبدالمطلب: أفَرَّ صباح القوم عزم قلوبهم ... فهن هواء والحلوم عوازب[٧].

أي: حملها على الفرار وجعلها خالية بعيدة غائبة العقول[٨].

والفرق بين الهروب والفرار: أن الهروب ردة فعل وحركة غير إرادية تجاه موقف ما وغالبًا يكون لوجهة غير معلومة أو معروفة. أما الفرار فهو إسراع في أمر ما لقصد وجهة معلومة ومرتب لها مسبقًا.

---

(١) الصحاح للجوهري (٢/ ٧٨٠) مادة: (فرر).

(٢) الأفعال لابن القطاع (٢/ ٤٧٩).

(٣) الصحاح (٢/ ٧٨٠) مادة: (فرر).

(٤) المخصص لابن سيده (٣/ ٣٥٨)، لسان العرب لابن منظور (٥/ ٥٠) مادة: (فرر).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي أسامة عن ابن عون عن عمير بن إسحاق مرسلًا (٦/ ٣٢٤ رقم ٣١٧٧٧).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٤٢٧).

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٣٤٨ رقم ٨٦١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٧٢): رواه الطبراني، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٢٧).

ثانيًا: الفرار في القرآن.

وردت لفظة الفرار ومشتقاتها في كتاب الله الكريم عشر مرات فكانت على معان:

الأول: التوبة، قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات:٥٠] أي: توبوا إلى الله من ذنوبكم[١].

الثاني: الكراهة، قال تعالى:﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ﴾ [الجمعة: ٨] أي: تكرهونه[٢].

الثالث: التباعد، قال تعالى: ﴿فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا﴾ [نوح:٦] أي: تباعدًا من الإيمان[٣].

الرابع: الترك، قال تعالى:﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ [عبس:٣٤]، ترك موالاتهم ونصرتهم والسؤال عنهم[٤].

الخامس: الهروب عند بقية الآيات كقوله تعالى:﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا﴾ [الكهف: ١٨]. أي: لأدبرت عنهم هاربًا منهم فارًا[٥].

وقوله: ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا﴾ [الشعراء: ٢١]، والمعنى: هربت منكم إلى مدين[٦].

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣٤٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ١٧٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٥٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٧٩)، بحر العلوم (٣/ ٤٤٧).

(٣) التفسير البسيط للواحدي (٢٢/ ٢٥١)، زاد المسير (٤/ ٣٤٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣٠٠).

(٤) التفسير البسيط للواحدي (٢٣/ ٢٣٨)، مفاتيح الغيب (٣١/ ٦١).

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٦).

(٦) بحر العلوم (٢/ ٥٥٢).

وقوله: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣].

وقوله: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ [الأحزاب: ١٦].

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٨-٥١] .

وقوله: ﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [القيامة: ١٠].

وجاءت آيات أخرى في كتاب الله تتحدث عن الفرار كآيات الهجرة، والجهاد، والاستعاذة من الشيطان، والمسارعة للطاعات ونحوها.

كما جاءت مرادفات عدة للفرار كالمحيص، والمناص، والمحيد، والنفاذ، والهروب، والإباق، والتولي، والركض وهذه جميعًا يأتي بيانها لاحقًا بإذن الله.

المطلب الثاني: نظائر الفرار القرآنية.

تعددت نظائر الفرار في القرآن الكريم كالحيص، والنوص، والحيد، والنفاذ، والهروب، والإباق. وبيانها كالتالي:

أولًا: المحيص:

حيص: الحَيْص: الحيد عن الشيء، حاص عنه يحيص حيصًا: رجع[(١)] وهرب ، وحاص القوم: جالوا جولة يطلبون الفرار والمهرب، نكصوا على أعقابهم[(٢)]، وحايصه راوغه وغالبه، ويقال: حايص الموت: حرص على الفرار منه[(٣)]. وفي حديث مُطرِّف: أنه خرج من الطاعون فقيل له في ذلك، فقال: هو الموت نحايصه ولابد منه[(٤)]، أي: نحرص على الفرار منه[(٥)].

(١) لسان العرب (٧/ ١٩) مادة حيص، تاج العروس للزبيدي (١٧/ ٥٤٠).
(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار (١/ ٥٩٤).
(٣) المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية (١/ ٢١١).
(٤) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (ص: ٢٣١).
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٦٨).

وفي حديث أنس: لما كان يوم أحد حاص المسلمون حيصة، قالوا: قتل محمد[١]، أي: جالوا جولة يطلبون الفرار[٢].

وفي حديث أبي سفيان في وصف مجلس هرقل: (فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت)[٣].

والمحيص: مصدر ميمي من حاص، حاص عن مهرب ومفر[٤].

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم:٢١] أي: منجى ومهرب من العذاب، من الحيص: وهو العدول على جهة الفرار[٥].

وقوله تعالى:﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ [النساء:١٢١].

وقوله تعالى:﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ [فصلت:٤٨].

وقوله تعالى:﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾ [الشورى:٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾ [ق:٣٦].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٣٢) وقال: هذا حديث غريب من حديث ثابت، ومن حديث المفضل بن فضالة، وهو أخو مبارك بن فضالة بصري عزيز الحديث، تفرد به أبو زهير عبدالرحمن بن مغراء عنه .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٦٨) .

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٨ رقم٧).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٥٩٤).

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٣/ ١٩٧).

ثانيًا: المناص.

النّوص: الفرار[١]، والمناص: المهرب، والملجأ والمفر[٢]، وناص عن قرنه ينوص نوصًا ومناصًا: أي فرَّ وراغ[٣]. ومنه قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣] أي: ولم يكن ذلك الوقت وقت فرار من العذاب[٤].

ثالثًا: الحيد.

حاد عن الشيء يحيد حيدة وحيودًا[٥]. والمحيد: المفر، مصدر ميمي من حاد عن، حاد من[٦]. يقال: مالك محيد عن هذا: مالك مفر منه[٧]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] أي: ما كنت تقدر على الفرار منه[٨].

رابعًا: النفاذ.

نفذ: النون والفاء والذال: أصل صحيح يدل على مضاء في أمر ونحوه[٩]، ورجل نافذ في أمره وهو الماضي فيه[١٠]، والنفاذ الجواز والخلوص من الشيء[١١]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن:٣٣]، والمعنى: إن استطعتم الفرار

(١) لسان العرب (٧/ ١٠٢) مادة: (نوص).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) مفاتيح الغيب للرازي (٢٦/ ٣٦٦).
(٥) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٢٣) مادة: (حيد).
(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٥٩٣).
(٧) المعجم الوسيط (١/ ٢١١).
(٨) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠٠).
(٩) مقاييس اللغة (٥/ ٤٥٨) مادة: (نفذ).
(١٠) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (١٤/ ٣١٤) مادة: (نفذ).
(١١) العين للخليل (٨/ ١٨٩) مادة: (نفذ).

لئلا تقعوا في العذاب ففروا[١].

خامسًا: الهروب.

الهروب، والهرب والهربان الفرار. وقد هرب يهرب، ويقال: ماله هارب ولا قارب أي: صادر ولا وارد[٢]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢] أي: لو فررنا من عذابه لن نعجزه أن يعذبنا[٣].

سادسًا: الإباق.

أَبِقَ الغلام يَأبِق أَبِقًا وأَبْقًا، وأبِق يأبَق أَبَقًا إذا هرب[٤] وفرَّ[٥]، والاسم الإباق فهو آبق[٦]. والآبق: مملوك فرّ من مالكه تمردًا وعنادًا لسوء خلقه[٧]. والإباق: الفرار بحيث لا يهتدي إليه طالب[٨]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات:١٣٩-١٤٠]. أبق: فرّ[٩]. والآبق الفار إلى حيث لا يعلم به[١٠].«ويقال: أَبِقَ للعبد عندما يفر عن سيده، وهنا استعارة تمثيلية شبهت حالة خروج يونس عليه السلام من البلد الذي كلفه ربه فيه بالرسالة بإباق العبد عن سيده الذي كلفه عملًا» [١١].

(١) مفاتيح الغيب (٢٩/ ٣٦٢).
(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥/ ٣٢٠).
(٣) تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٠/ ٢٥٢).
(٤) جمهرة اللغة لابن دريد (٢/ ١٠٢٦)، الصحاح (٤/ ١٤٤٥) مادة: أبق.
(٥) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان (ص:٥٥).
(٦) جمهرة اللغة (٢/ ١٠٢٦) مادة: أبق.
(٧) أنيس الفقهاء لابن الأمير القونوي (ص:٦٨)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (١/ ٨١).
(٨) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي) (٧/ ٢٨٤).
(٩) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٦٦).
(١٠) النكت والعيون للماوردي (٥/ ٦٦).
(١١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣/ ١٧٣).

الفصل الأول

أنواع الفرار

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الفرار المحمود

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الفرار إلى الله تعالى.

الفرار إلى الله تعالى صورة من صور انطلاق الفار بكل ما أوتي من قوة طلبًا للنجاة وهو الفرار المأمور به، فرار السعداء، فرار أهل الإيمان قال ابن القيم : «ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين: منزلة الفرار. قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠]. وحقيقة الفرار: الهرب من شيء إلى شيء، وهو نوعان: فرار السعداء، وفرار الأشقياء. ففرار السعداء: الفرار إلى الله ﷻ، وفرار الأشقياء: الفرار منه لا إليه» [(١)].

وهو الفرار الذي أمر الله به في قوله تعالى:﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

ورد في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ عدة معان متقاربة:

١. اهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به، واتباع أمره، والعمل بطاعته[(٢)].

٢. ففروا إلى توحيد الله من الشرك به ودليله قوله تعالى على إثره: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (١/ ٤٦٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٠).

مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات:٥١][(١)].

٣. الجؤا إليه واعتمدوا عليه في أموركم[(٢)].

٤. توبوا إلى الله من ذنوبكم[(٣)].

قال القشيري: «والإنسان بإحدى حالتين إما حالة رغبة في شيء أو حالة رهبة من شيء، أو حال رجاء، أو حال خوف أو حال جلب نفع أو دفع ضر وفي الحالتين ينبغي أن يكون فراره إلى الله فإن النافع والضار هو الله. ويقال: من صح فراره إلى الله صح قراره مع الله»[(٤)].

ومن صور الفرار إلى الله:

١. الفرار من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن[(٥)]، أي الفرار من أنواع الشرك كله إلى التوحيد[(٦)].

٢. الفرار من الأعمال القبيحة إلى الأعمال الصالحة[(٧)].

٣. الفرار من عذاب الله إلى رحمته[(٨)].

٤. الفرار من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن[(٩)].

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٥٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٤).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣٤٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ١٧٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٥٣).

(٤) لطائف الإشارات (٣/ ٤٦٩).

(٥) التيسير في أحاديث التفسير للناصري (٦/ ٩٤).

(٦) مدارك التنزيل للنسفي (٣/ ٣٧٩).

(٧) تأويلات أهل السنة (٩/ ٣٩١).

(٨) بحر العلوم (٣/ ٣٤٧).

(٩) الكشف والبيان للثعلبي (٩/ ١١٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٥٣).

٥. الفرار من الكفر إلى الشكر[١].

٦. الفرار من الجهل إلى العلم[٢].

٧. الفرار من الشك إلى اليقين[٣].

٨. الفرار من الغفلة إلى اليقظة بدوام الذكر[٤].

ونتناول هنا بعض الأسئلة حول الآية الكريمة مع الإجابة عليها:

السؤال الأول: ما نوع الفاء في قوله تعالى: (ففروا)؟

الجواب: أن "الفاء في قوله تعالى: (ففروا) للترتيب، معناه إذا ثبت أن خالق الزوجين فرد (ففروا) إليه واتركوا غيره تركًا مؤبدًا"[٥].

السؤال الثاني: حين قال تعالى: (ففروا) لماذا جعل الأمر بلفظ الفرار دون غيره؟

الجواب: عبر بلفظ الفرار دون غيره لينبه على أن وراء الناس عقابًا وعذابًا وأمرًا حقه أن يفر منه؛ فجمعت لفظة (ففروا) بين التحذير والاستدعاء، وينظر إلى هذا المعنى قول النبي ﷺ: «**لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك**»[٦] [٧].

كما أن قوله: (ففروا) ينبئ عن سرعة الإهلاك؛ كأنه يقول: الإهلاك والعذاب أسرع وأقرب من أن يحتمل الحال الإبطاء في الرجوع؛ فافزعوا إلى الله سريعًا وفروا[٨].

---

(١) المصدرين السابقين.

(٢) المصدرين السابقين.

(٣) لطائف الإشارات (٣/ ٤٦٩).

(٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٥/ ٤٨٠).

(٥) مفاتيح الغيب (٢٨/ ١٨٩).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٥٨ رقم ٢٤٧) ومسلم (٤/ ٢٠٨١ رقم ٢٧١٠).

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ١٨١)، البحر المحيط لأبي حيان (٩/ ٥٦٠)، الجواهر الحسان للثعالبي (٥/ ٣٠٥).

(٨) مفاتيح الغيب (٢٨/ ١٨٩).

وقال صاحب الظلال: «والتعبير بلفظ الفرار عجيب حقًا. وهو يوحي بالأثقال والقيود والأغلال والأوهاق، التي تشد النفس البشرية إلى هذه الأرض، وتثقلها عن الانطلاق، وتحاصرها وتأسرها وتدعها في عقال. وبخاصة أوهاق الرزق والحرص والانشغال بالأسباب الظاهرة للنصيب الموعود. ومن ثم يجيء الهتاف قويًا للانطلاق والتملص والفرار إلى الله من هذه الأثقال والقيود! الفرار إلى الله وحده منزهًا عن كل شريك. وتذكير الناس بانقطاع الحجة وسقوط العذر» [(١)].

السؤال الثالث: لماذا في قوله تعالى: (إلى الله) ذكر الجهة المطلوبة التي نفر لها، لكنه لم يذكر الجهة التي نفر منها؟ وهذا فيه وجهان:

الأول: إما لكونه معلومًا وهو هول العذاب، أو الشيطان الذي قال فيه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

الثاني: وإما ليكون عامًا كأنه يقول: كل ما عدا الله عدوكم ففروا إليه من كل ما عداه، وبيانه وهو أن كل ما عداه فإنه يتلف عليك رأس مالك الذي هو العمر، ويفوت عليك ما هو الحق والخير، ومتلف رأس المال مفوت الكمال عدو، وأما إذا فررت إلى الله وأقبلت على الله فهو يأخذ عمرك ولكن يرفع أمرك ويعطيك بقاء لا فناء معه"[(٢)].

السؤال الرابع: لِمَ سمَ الله الرجوع إليه فرارًا؟

«سمى الله الرجوع إليه، فرارًا، لأن في الرجوع لغيره، أنواع المخاوف والمكاره، وفي الرجوع إليه، أنواع المحاب والأمن، والسرور والسعادة والفوز، فيفر العبد من قضائه وقدره، إلى قضائه وقدره، وكل من خفت منه فررت منه إلا الله تعالى، فإنه

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٣٣٨٦).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٨/ ١٨٩).

بحسب الخوف منه، يكون الفرار إليه» [١].

السؤال الخامس: الفعل (فرّ) يتعدى بـ(من) فلِمَ عداه الحكيم بـ(إلى) في الآية الكريمة؟

«لأنه ضمنه معنى (لجأ) واللجوء إلى كنف الله ورحمته هو منجاة من عذابه، والفرار صورة حسية عجيبة لا يقوم مقامها في هذا السياق أي لفظ آخر، فهي تستحثنا على وجه السرعة إلى البدار ما دمنا في هذه الدار» [٢].

«وقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ تعليل للأمر بالفرار إليه تعالى أو لوجوب الامتثال به؛ فإن كونه عليه الصلاة والسلام منذرًا منه تعالى موجب عليه - عليه الصلاة والسلام- أن يأمرهم بالفرار إليه، وعليهم أن يمتثلوا به أي: إني لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرًا أو مظهرًا لما يجب إظهاره من العذاب المنذر به، وفي أمره تعالى للرسول ﷺ بأن يأمرهم بالهرب إليه تعالى من عقابه وتعليله بأنه عليه الصلاة والسلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه، وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب» [٣].

«وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ هذا من الفرار إلى الله، بل هذا أصل الفرار إليه أن يفر العبد من اتخاذ آلهة غير الله، من الأوثان، والأنداد والقبور، وغيرها، مما عبد من دون الله، ويخلص العبد لربه العبادة والخوف، والرجاء والدعاء، والإنابة» [٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٨١٢).

(٢) التضمين النحوي في القرآن الكريم لمحمد نديم فاضل (٢/ ١٢٧).

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٨/ ١٤٣).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص٨١٢).

المطلب الثاني: الفرار من الشيطان.

أمر الله سبحانه وتعالى العبد بالفرار من الشيطان في سائر أحواله فقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل:٩٨-٩٩].

«فالدعوة إلى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، في هذا الموقف الذي يقف فيه الإنسان بين يدي كلمات الله، هي في الواقع دعوة إلى إعلان الحرب من داخل الإنسان على هذا الشيطان، الذي يتربص بالإنسان، ويقعد له بكل سبيل. وبهذا يقبل قارئ القرآن على آيات الله بقلب قد أخلاه لها من كل وسواس. وبهذا أيضًا تؤثر كلمات الله أثرها الطيب فيه، فينال ما شاء الله أن ينال من ثمرها المبارك» (١).

وقوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾ «الاستعاذة: الاستجارة. وتأويل قول القائل: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) أستجير بالله – دون غيره من سائر خلقه – من الشيطان أن يضرني في ديني، أو يصدني عن حق يلزمني لربي»(٢).

و«﴿بِٱللَّهِ﴾ إقرار بأمرين: أحدهما: بأن الحق قادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات، والثاني: أن غيره غير موصوف بهذه الصفة فلا دافع للحاجات إلا هو، ولا معطي للخيرات إلا هو، فعند مشاهدة هذه الحالة يفر العبد من نفسه ومن كل شيء سوى الحق فيشاهد في هذا الفرار سر قوله: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] وهذه الحالة تحصل عند قوله: (أعوذ)»(٣).

وقوله تعالى: «﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ الشيطان مبالغة في الشيطنة، كما أن الرحمن مبالغة في الرحمة، و﴿ٱلرَّجِيمِ﴾ في حق الشيطان فعيل بمعنى مفعول، كما أن الرحيم في

(١) التفسير القرآني للقرآن (٧/ ٣٦٠).
(٢) تفسير الطبري (١/ ١١١).
(٣) مفاتيح الغيب (١/ ٩١).

حق الله تعالى فعيل بمعنى فاعل، إذا عرفت هذا فهذه الكلمة تقتضي الفرار من الشيطان الرجيم إلى الرحمن الرحيم» [(١)].

«والاستعاذة الحقيقية من الشيطان هي: الغيبة عنه في ذكر الله أو شهوده، فلا ينجح في دفع الشيطان إلا الفرار منه إلى الرحمن. قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، فإن الشيطان كالكلب، كلما اشتغلت بدفعه قوي نبحه عليك، فإما أن يخرق الثياب، أو يقطع الإهاب، فإذا رفعت أمره إلى مولاه كفه عنك» [(٢)].

وأما قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩﴾ [النحل: ٩٩] فهو «تعليل لتلك الدعوة إلى الاستعاذة من الشيطان الرجيم عند الاستفتاح بتلاوة القرآن الكريم. وذلك أن الإنسان إذا ذكر الله، واستشعر جلاله وعظمته، ولجأ إليه، مستعيذًا به من وساوس الشيطان، وكيده، ومكره- إنه إذا فعل الإنسان ذلك فرّ الشيطان من بين يديه، ونكص على عقبيه مستخزيًا ذليلًا، ولم يكن له ثمة سلطان عليه حينئذٍ، لأنه أصبح بذلك من عباد الله الذين يقول الله سبحانه وتعالى فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]» [(٣)].

قال الرازي عند قوله: «الباب الثالث في اللطائف المستنبطة من قولنا: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، النكتة الثالثة: أن الإقدام على الطاعات لا يتيسر إلا بعد الفرار من الشيطان، وذلك هو الاستعاذة بالله،...النكتة الخامسة: الشيطان عدو الإنسان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، والرحمن مولى الإنسان وخالقه ومصلح مهماته ثم إن الإنسان عند شروعه في الطاعات والعبادات خاف العدو فاجتهد في أن يتحرى مرضاة مالكه ليخلصه من زحمة ذلك

(١) المصدر السابق.
(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣/ ١٦٣).
(٣) التفسير القرآني للقرآن (٧/ ٣٦٠).

العدو، فلما وصل الحضرة وشاهد أنواع البهجة والكرامة نسي العدو وأقبل بالكلية على خدمة الحبيب، فالمقام الأول: هو الفرار وهو قوله: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، والمقام الثاني: وهو الاستقرار في حضرة الملك الجبار فهو قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١] »[(١)].

والفرار في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات :٥٠] يشمل الفرار من الشيطان الذي قال الله عنه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] أي: فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن[(٢)]. وقيل: الشيطان داع إلى الباطل، ففروا إلى الله يمنعكم منه[(٣)].

ثم إنه إذا قوي إيمان العبد فرّ منه الشيطان كما قال الرسول ﷺ لعمر رضي الله عنه: «**والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك**»[(٤)] ، وفي الرواية الأخرى: «**إني لأحسب الشيطان يفر منك يا عمر**»[(٥)]، فإذا قوي إيمان العبد، وتسلح بكتاب الله، وبالذكر الوارد عن رسول الله ﷺ، فرّ الشيطان منه، ولم يجد إليه منفذًا ولا سبيلًا.

المطلب الثالث: الفرار بالدين من الفتن والظلم.

كان الفرار بالدين سنة الأنبياء والصالحين، فقد هجروا أوطانهم وديارهم رجاء السلامة بالدين وخشية الفتنة ونزول الظلم بهم، ومن ذلك فرار أصحاب الكهف

---

(١) مفاتيح الغيب (١/ ٩١-٩٢).

(٢) الكشف والبيان (٩/ ١١٩).

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٢٦ رقم ٣٢٩٤) ومسلم (٤/ ١٨٦٣ رقم٢٣٩٦).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨/ ٩٣ رقم ٢٢٩٨٩)، والترمذي في سننه (٦/ ٦٢ رقم٣٦٩٠)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٣١٥ رقم ٦٨٩٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ١٤٢ رقم ١٦٠٩).

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠] فهذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة. وقد خرج النبي ﷺ فارًا بدينه(١)، وكذلك أصحابه، هجروا أوطانهم وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم وقراباتهم وإخوانهم، رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين(٢).

قال ابن العربي عند هذه الآية: «مسألة الفرار من الظالم: المسألة الثالثة: فيه جواز الفرار من الظالم: وهي سنة الأنبياء والأولياء، وحكمة الله في الخليقة» (٣).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وقوله: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ فيه مسائل: الأولى: كونهم فعلوا ذلك عند الفتنة، وهذا هو الصواب عند وقوع الفتن، الفرار منها» (٤).

وقال تعالى في معرض قصة أصحاب الكهف: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف:١٦].

فقوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطاب من بعضهم البعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم(٥).

---

(١) كما قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة:٤٠].

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٦٠).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٣٢).

(٤) تفسير آيات من القرآن الكريم (ص: ٢٤٢).

(٥) الكشاف للزمخشري (٢/ ٧٠٧).

وقوله: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم﴾ أي: يسهل وييسر لكم ﴿مِّنْ أَمْرِكُم﴾ الذي أنتم بصدده من الفرار بالدين[١].

وقال أبو بكر الجزائري ضمن هدايات السورة: «تقرير التوحيد ضمن قصة أصحاب الكهف إذ فروا بدينهم خوفًا من الشرك والكفر»[٢].

فسكنى الجبال ودخول الغيران والعزلة عن الخلق والانفراد بالخالق فضّلها رسول الله ﷺ لاسيما عند ظهور الفتن وفساد الناس قال الرسول ﷺ: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**»[٣].

المطلب الرابع: الفرار للجهاد.

كل آيات الجهاد في القرآن هي دعوة للفرار في سبيل الله وترك ملذات الدنيا وأهواء النفس ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

المراد بقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، أي فرُّوا خفافًا وثقالًا.. ولكن الفرار من أين؟ وإلى أين؟

الفرار من حب الحياة، والتعلق بها للإنسان فيها من هوى إلى المال والأهل والولد.. ثم اللجوء إلى الله، وإلى الجهاد في سبيل الله!! وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

---

(١) جامع البيان للإيجي (٢/ ٤٢٦).

(٢) أيسر التفاسير (٣/ ٢٤١).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٣ رقم ١٩).

فـالدعـوة إلـى الجهـاد في سبيل الله، الذي تحمله كلمة (الفرار) هي دعوة إلى أمرين معًا :

الأول: الانخلاع من سلطان الدنيا، المستولي على النفوس، وذلك لا يكون إلا بمغالبة أهواء النفس، والوقوف منها موقف العدو الذي يتربص للإنسان على طريق الخير، ليحول بينه وبين الوصول إليه، فيفر المؤمن من دواعي الحياة الدنيا، فراره من العدو، الذي إن تلبث أو فتر في الفرار منه، هلك!! والثاني: التماس السبل التي تخلص الإنسان من الوقوع بيد هذا العدو، الذي يحول بينه وبين الخير المدعو إليه من قبل ربه، وهو الجهاد في سبيل الله.. وذلك لا يكون إلا بالفرار من وجه هذا العدو، واتخاذ وجهة أخرى غير الوجهة القائمة على سمته.. وتلك هي وجهة الجهاد في سبيل الله[1].

(١) التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٧٧٠).

المبحث الثاني

الفرار المذموم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الفرار من الإيمان والدعوة.

تحدث القرآن الكريم عن الكفار والمنافقين في فرارهم من الإيمان والدعوة وإعراضهم عن كل ما جاء به النبي ﷺ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩-٥١].

قوله: ﴿ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ القرآن وغيره من المواعظ التي جاء بها النبي ﷺ (١).

و(الحمر) المراد بها الحمر الوحشية(٢).

وجاء في (مستنفرة) قراءتان:

القراءة الأولى: ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ بكسر الفاء وهي قراءة الجمهور(٣).

وتعني: نافرة(٤)، وأنشد الفراء:

أمسك حمارك إنه مستنفِر في إثر أحمرة عَمْدن لغُرّب(٥).

القراء الثانية: ﴿مستنفَرة﴾ بفتح الفاء وهي قراءة نافع وابن عامر(٦)، وتعني: منفرة مذعورة(٧).

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٥٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٨٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٨)، السبعة في القراءات لابن مجاهد (١/ ٦٦٠)، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (١/ ٣٥٥).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٨)، بحر العلوم (٣/ ٥١٩).

(٥) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠٦).

(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٨)، السبعة في القراءات لابن مجاهد (١/ ٦٦٠)، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (١/ ٣٥٥).

(٧) الكشف والبيان (١٠/ ٧٨)، معالم التنزيل (٥/ ١٨٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٨٩).

وجاء في ﴿قَسْوَرَةٍ﴾ عدة معان أشهرها الأسد أو الرماة[١].

والمعنى: فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك مما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين، كأنهم في نفارهم عن الحق، وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد أو رام[٢].

قال الزمخشري: «في تشبيههم بالحمر: مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بيّن، كما في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥] وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل. ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو إذا رابها رائب» [٣].

قال ابن القيم: «شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر رأت الأسد أو الرماة ففرت منه. وهذا من بديع القياس والتمثيل، فإن القوم في جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحمر وهي لا تعقل شيئًا. فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور. وهذا غاية الذم لهؤلاء. فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم. كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها» [٤].

وقوم نوح صورة أخرى من صور الإعراض عن الإيمان والدعوة قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٥-٧].

نوح عليه السلام دعا قومه لرسالة ربه، وإلى توحيد الله وعبادته، وحذرهم بأسه وسطوته، لكنهم لم يستجيبوا له واتخذوا في ذلك وسائل وسبلًا للصد والإعراض وهي:

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٠)، معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٥٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٣).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٥٦).

(٤) التفسير القيم (ص: ٥٥٧).

١. الفرار ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي: تباعدًا من الإيمان[١].

٢. و﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾أي: سدوا مسامعهم حتى لا يسمعوا دعائي[٢].

٣. ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: غطوا بها وجوههم لئلا يروني[٣].

٤. ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ أصروا على كفرهم فلم يتوبوا[٤].

٥. ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾ أي: تعاظموا عن الإذعان للحق وقبول ما دعوتهم إليه[٥].

كل هذه الوسائل اتخذها كفار قوم نوح عليه السلام فرارًا عن الإيمان والتصديق بما جاء به نوح عليه السلام.

«وفي قوله: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾، أضاف الفرار إلى الدعاء، وقد يضاف الشيء إلى سببه؛ كقوله:﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧] أي: يبصر به»[٦]. «وأصل هذا أن عداوتهم كانت قد اشتدت لنوح عليه السلام، وكانوا قد استثقلوه وأبغضوا كلامه، فحدث لهم ببغضهم كلامه واستثقالهم إياه معنى حملهم على الفرار؛ فنسب ذلك إلى الدعاء، لأن حدوث ذلك المعنى كان عند وجود الدعاء؛ فنسب إلى الدعاء على معنى المجاورة والقرب، لا أن يكون الدعاء في الحقيقة سببًا لزيادة الفرار؛ وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]، والقرآن لم يجعل سببًا لزيادة الرجس، ولكنهم لما أحدثوا بغضًا عندما تلا عليهم القرآن، فحدث لهم بذلك معنى حملهم على ذلك الوجه، فأضيفت تلك الزيادة إلى القرآن؛ إذ عند ذلك حدث ذلك السبب الزائد في الرجس، فنسب إليه

(١) التفسير البسيط للواحدي (٢٢/ ٢٥١)، زاد المسير (٤/ ٣٤٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣٠٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٣٢).

(٣) بحر العلوم (٣/ ٥٠٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣٠٠).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٣٢).

(٦) تأويلات أهل السنة (٤/ ٤٣٦).

على معنى المجاورة، وقال الله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ [المؤمنون:١١٠]، وهم لم يكونوا منسيين، بل كانوا مذكرين يذكرونهم مرة بعد مرة، لكن بغضهم إياهم واتخاذهم سخريًا أوقع لهم النسيان، فنسب إليهم الإنساء، فعلى ذلك لما أبغضوه واستثقلوا كلامه ودعاءه، أحدث لهم ذلك البغض زيادة نفار وجحود، ثم نسب النفار إلى الدعاء على الوجه الذي ذكرنا لا أن يكون الدعاء في الحقيقة منفرًا» (١).

هكذا هم الكفار في كل زمان ومكان يدخلون في اللجاج، التماسًا للفرار من الإيمان؛ فأقسم المشركون جهد أيمانهم لئن جاءهم منذر ينذرهم بأس الله ليكونن أسلك لطريق الحق وأشد قبولًا فلما جاءهم حدث خلاف ذلك قال تعالى عنهم: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢].

فلما جاءهم النذير وهو محمد ﷺ لم يزدهم ذلك إلا نفورًا أي: ذهابًا عن الحق، وبعدًا منه وهربًا(٢).

المطلب الثاني: محاولة الكفار الفرار من عذاب الله وعجزهم عن ذلك.

عذاب الله سبحانه وتعالى قد يكون في الحياة الدنيا، وقد يكون في الآخرة، وفي كلا الحالتين يحاول الكفار الفرار من عذاب الله ولكن هيهات هيهات قال تعالى عن محاولتهم الفرار من عذابه الدنيوي: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣] «يقول تعالى ذكره: كثيرًا أهلكنا من قبل هؤلاء المشركين من قريش الذين كذبوا رسولنا محمدًا ﷺ فيما جاءهم به من عندنا من الحق ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ يعني: من الأمم الذين كانوا قبلهم، فسلكوا سبيلهم في تكذيب رسلهم فيما أتوهم به من

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٢٢٣-٢٢٤).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٥٣).

عند الله ﴿فَنَادَواْ﴾ يقول: فعجوا إلى ربهم وضجوا واستغاثوا بالتوبة إليه، حين نزل بهم بأس الله وعاينوا به عذابه فرارًا من عقابه، وهربًا من أليم عذابه، ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ يقول: وليس ذلك حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة، وقد حقت كلمة العذاب عليهم، وتابوا حين لا تنفعهم التوبة، واستقالوا في غير وقت الإقالة» (١).

وطلبوا المفر عند قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [ق:٣٦].

«يقول: كم أهلكنا قبلهم من قرن، لم يملكوا دفع ذلك عن أنفسهم، ولا الانتصار من ذلك، فكيف يملك قومك دفع ما ينزل بهم لو أصروا على التكذيب» (٢).

وقوله: ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: «هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره؟ وهل نفعهم ما جمعوه ورد عنهم عذاب الله إذ جاءهم لما كذبوا الرسل؟ فأنتم أيضًا لا مفر لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص» (٣).

وقد أعجزهم سبحانه وآيسهم من قدرتهم على الفرار فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ [هود:١٨-٢٠].

وقال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [النحل: ٤٥-٤٦] أي: «فلا يستطيعون الإفلات والفرار من عذابه تعالى؛ لأنه لا يعجزه

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٤٢).
(٢) تأويلات أهل السنة (٩/ ٣٦٥).
(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠٩).

شيء يريده، فهو القوي العزيز» [(١)].

ويوم القيامة هو يوم الفرار حيث يسعى الكفار والمنافقون للفرار من عذاب الله ولن يتمكنوا قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [سورة غافر: ٣٣] أي: مدبرين في فرارهم من النار حتى يقذفوا فيها[(٢)].

وتحداهم أن يستطيعوا الفرار من عذابه الأخروي بقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن:٣٣].

اختلف المفسرون هل هذا الخطاب في الدنيا أم في الآخرة على قولين:

الأول: الآية مخاطبة في الدنيا. والمعنى: إن استطعتم الفرار من الموت بأن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا[(٣)].

الثاني: الآية مخاطبة لهم في الآخرة (يوم القيامة) والمعنى: إن استطعتم الفرار لئلا تقعوا في العذاب ففروا، ثم إذا تبين لكم أن لا فرار لكم ولابد من الوقوع فيه، فإذا وقعتم فيه وأرسل عليكم؛ فاعلموا أنكم لا تنصرون فلا خلاص لكم إذن، لأن الخلاص إما بالدفع قبل الوقوع وإما بالرفع بعده ولا سبيل إليهما[(٤)].

قال الضحاك: «وذلك أنه يفر الناس في أقطار الأرض، والجن كذلك، لما يرون من هول يوم القيامة، فيجدون سبعة صفوف من الملائكة قد أحاطت بالأرض، فيرجعون من حيث جاؤوا، فحينئذ يقال لهم: (يا معشر الجن والإنس)»[(٥)].

---

(١) التفسير الوسيط -مجمع البحوث- (٥/ ٦٢٥).

(٢) النكت والعيون (٥/ ١٥٥).

(٣) المحرر الوجيز(٥/ ٢٣٠)، مفاتيح الغيب (٢٩/ ٣٦١)، البحر المحيط (١٠/ ٦٤)، الجواهر الحسان (٥/ ٣٥٢).

(٤) المصادر السابقة.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٢)، المحرر الوجيز(٥/ ٢٣٠).

والصواب والله أعلم القول الثاني وهو اختيار الرازي[١]، وأبي حيان[٢]، والثعالبي[٣].

وطلبوا المفر يوم القيامة فقال الله عنهم: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ [القيامة:١٠] «وتأويل الكلام: يقول الإنسان يوم يعاين أهوال يوم القيامة: أين الْمَفَرُّ من هول هذا الذي قد نزل؟ ولا فرار» [٤]. فردّ الله تعالى عليهم: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة:١١-١٢]، أي: «ليس هناك يا ابن آدم فرار، ولا مكان تلجأ إليه وتفر إليه»[٥]. وفيه أن الكافر كان يفر من الله إلى غيره حين قال: أين الْمَفَرُّ؟ فعلى المؤمن أن يضاده ويفر من غير الله إلى الله ولا يستعين في كل أموره إلا به[٦].

كما حذرت الآيات السابقة لقوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء:١٢١] أشد التحذير من الإشراك بالله تعالى، ومن إتباع وساوس الشيطان وخداعه ووعوده الباطلة، وأمانيه الخادعة وهددت كل من يهجر طريق الرشد ويسلك طريق الغي بجهنم التي لا ﴿يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ أي: لا مفر منها ولا ملجأ[٧].

وتحدثت آيات في القرآن الكريم عن اعتراف الكفار والمشركين -رغم محاولاتهم الفرار من عذاب الله- بعجزهم عن ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن

(١) مفاتيح الغيب (٢٩/ ٣٦١)

(٢) البحر المحيط (١١/ ٦٤).

(٣) الجواهر الحسان (٥/ ٣٥٢).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٧).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٧٨٦٨).

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٦/ ٤٠٣).

(٧) بحر العلوم (٢/ ٢٤٠).

مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم:٢١] أي: ما لنا من مهرب ولا مَعْدِل عن العذاب(١).

وقال تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٧-٤٨] ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ يعني: بطل عنهم ما كانوا يدعون من قبل في الدنيا -وهي الآلهة التي يعبدونها- ﴿وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ ، يعني: علموا واستيقنوا مالهم من ملجأ ولا مفر من النار(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾[الشورى: ٣٥] أي: ويعلم حينئذٍ الذين ينازعون في آيات الله مكذبين بها أنه لا مفر ولا مهرب ولا ملجأ من عذاب الله، فإنهم مقهورون بقدرة الله وسلطانه(٣). قال مكي: أيقنوا أنهم لا ينفعهم الفرار(٤).

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة :١٦٧] إشعار بقصدهم الفرار منها والخروج، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] فأنبأ أن وجهتهم للخروج لا تنفعهم(٥).

وقال تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢]، «كانت حفصة ﵂ تقرأ هذه الآية: (وأنا علمنا أن لن نعجز الله في الأرض فررة ولن نسبقه هربًا)(٦).

فقوله: ﴿لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لن نفوته، ولا يتهيأ لنا أن نعجز الله بأهل الأرض عن إيصال نقمته وعذابه إلينا.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٥٨).

(٢) بحر العلوم (٣/ ٢٣٢).

(٣) التفسير المنير للزحيلي (٢٥/ ٧٤).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٠/ ٦٥٤٤).

(٥) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي (ص:٣١٠).

(٦) لم أجد من ذكر هذه القراءة غير الماتريدي، ولم أقف عليها في كتب القراءات.

ويخرج قوله: (فررة) على ذلك، أي: لو فررنا من عذابه، لن نعجزه ألا يعذبنا.

والفرار قد يكون بدون الطلب؛ قال الله ﷻ: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الذاريات: ٥٠]، ولم يرد به الفرار من الطلب، وأما الهرب فإنه لا يكون إلا عن طلب؛ فكأنهم قالوا: لا يتهيأ لنا الفرار عن عذاب الله تعالى؛ لكثرة الأعوان والأنصار، ولا يعجزه هربنا عن طلب »[(١)].

قال السعدي: «وأنا في وقتنا الآن تبيّن لنا كمال قدرة الله وكمال عجزنا، وأن نواصينا بيد الله فلن نعجزه في الأرض ولن نعجزه إن هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج عن قدرته، لا ملجأ منه إلا إليه» [(٢)].

المطلب الثالث: الفرار من الزحف.

لا خلاف بين العلماء في وجوب الثبات في الجهاد، وتحريم الفرار وذلك لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[الأنفال: ١٥-١٦].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةٗ فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥] .

وقول النبي ﷺ:«**اجتنبوا السبع الموبقات وذكر منها والتولي يوم الزحف**»[(٣)].

إلا إنه يستثنى من ذلك ثلاثة مواضع[(٤)]:

---

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٢٥٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٨٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٠ رقم٢٧٦٦) ومسلم (١/ ٩٢ رقم ١٤٥).

(٤) انظر هذه المواضع في: المهذب للشيرازي (٢/ ٣٢٢)، بدائع الصنائع للكاساني (٧/ ٩٩)، المغني لابن قدامة (٨/ ٤٨٤)، نهاية المحتاج للرملي (٢/ ٦٥) كشاف القناع للبهوتي (٣/ ٤٥)، حاشية الدسوقي (٢/ ١٧٨)، حاشية ابن عابدين (٣/ ٢٢٤).

الأول: أن يكون الفرار تحرفًا لقتال. ويعني: أن ينصرف من ضيق إلى سعة، ومن سفل إلى علو، أو من مكان منكشف إلى مستتر ونحو ذلك مما هو أمكن له في القتال. لقوله: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾.

الثاني: أن يكون الفرار تحيزًا إلى فئة من المسلمين ولو بعدت. ويعني: أن ينضم إلى جماعة أخرى من المسلمين في جهة غير الجهة التي كان فيها؛ ليشد أزرهم وينصرهم على عدو تكاثر جمعه عليهم. لقوله: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾.

الثالث: أن يزيد عدد الكفار على ضعف المسلمين، فيجوز الفرار حينئذٍ وذلك لقوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من فرّ من ثلاثة فلم يفر، ومن فرّ من اثنين فقد فرّ» (١).

واختلف المفسرون في حكم قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦] .

هل هو خاص في أهل بدر أم في المؤمنين جميعا؟ فيه قولان(٢):

القول الأول: هو لأهل بدر خاصة، لأنه لم يكن لهم أن يتركوا رسول الله ﷺ مع عدوه وينهزموا عنه، فأما اليوم فلهم الانهزام.

---

(١) تفسير الشافعي (٢/ ٨٦٩).

(٢) انظر القولين في: تفسير الطبري (١٣/ ٤٣٥)، تفسير السمعاني (٢/ ٢٥٣)، المحرر الوجيز (٢/ ٥١٠)، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٨٠)، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩).

القول الثاني: أن هذه الآية حكمها عام في كل من ولى الدبر منهزمًا.

أدلة القول الأول:

١.أنه لما كان يوم أحد بعد ذلك وفرّ المسلمون قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٥]، ثم كان يوم حنين فقال: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥]، ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [التوبة: ٢٧]، فقد فرّ الصحابة بعد بدر في غزوة أحد وحنين ثم تاب الله عليهم؛ فهذا يدل على أن النهي عن الفرار مخصوص ببدر(١).

٢. أن عمر رضي الله عنه لما أصاب المسلمين يوم الجسر ما أصابهم وصبروا حتى قتلوا، قال: هلا رجعوا إلي، وكان إذا بعث جيشًا بعد ذلك يقول: أنا فئة كل مسلم(٢).

٣. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «غزونا غزوًا فحصنا حيصة، فقلنا: يا رسول الله، نحن الفرارون؟ فقال: لا، بل أنتم العكارون، وأنا فئتكم» (٣).

٤. قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ (يومئذٍ) إشارة إلى يوم بدر(٤).

أدلة القول الثاني:

قول الرسول ﷺ:«**اجتنبوا السبع الموبقات وذكر منها: التولي يوم الزحف**»(٥).

---

(١) التفسير البسيط (١٠/ ٦٦)، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (٥/ ٢٥٢رقم ٩٥٢٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٥٤١ رقم ٣٣٦٨٨) وأحمد في مسنده (١٠/ ٣٣ رقم ٥٧٤٤) والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٣١ رقم ١٨٠٨٤) وقال الألباني في إرواء الغليل(٥/ ٢٨ رقم ١٢٠٤) : ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٩/ ٢٨٢ رقم ٥٣٨٤)، والترمذي في سننه (٣/ ٢٦٧ رقم ١٧١٦) وقال: هذا حديث حسن، لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن أبي زياد. وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص: ١٩٧ رقم ٣٦).

(٤) فتح القدير (٢/ ٣٣٦).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٠ رقم٢٧٦٦) ومسلم (١/ ٩٢ رقم ١٤٥).

وهو الراجح لأن العبرة بعموم الألفاظ وهو الذي عليه الجمهور.

وأما يوم أحد فإنما فرّ الناس من أكثر من ضعفهم، ومع ذلك عنفوا لكون الرسول ﷺ فيهم وفرارهم عنه، وأما يوم حنين فكذلك من فرّ إنما انكشف أمام الكثرة، ويحتمل أن عفو الله عمن فرّ كان عفو عن كبيرة لذلك عنفوا[1].

المطلب الرابع: الفرار من الموت.

سعى الكفار والمنافقون للفرار من القتال خشية الموت فقال تعالى عنهم: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[الأحزاب ١٢- ١٧].

ومعنى: ﴿ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ أي: فارجعوا إلى منازلكم، أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله ﷺ والفرار منه، وترك رسول الله ﷺ[2].

وقوله: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ﴾ يستأذن بعضهم رسول الله ﷺ في الإذن بالانصراف عنه إلى منزله، ولكنه يريد الفرار والهرب من عسكر رسول الله ﷺ[3].

وقوله: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ خالية ضائعة، وهي مما يلي العدو، وإنا نخشى عليها

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٥١٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٢٤).

(٣) المصدر السابق.

العدو والسرّاق[١]؛ فأكذبهم الله تعالى في قولهم هذا، فقال: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ بل الله يحفظها على ما وعد[٢].

وقوله: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: فرارًا من القتل والموت. والثاني: فرارًا من الدين[٣].

وقوله: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: «ولو دخلت المدينة على هؤلاء من جوانبها ونواحيها... ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ ثم سئلوا الرجوع من الإيمان إلى الشرك، ﴿لَآتَوْهَا﴾ لفعلوا ورجعوا عن الإسلام وأشركوا، ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ وما احتبسوا عن إجابتهم الشرك ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ قليلًا ولأسرعوا إلى ذلك»[٤].

وقوله: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ «قل يا محمد، لهؤلاء الذين يستأذنوك في الانصراف عنك ويقولون: إن بيوتنا عورة: ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ يقول: لأن ذلك، أو ما كتب الله منهما واصل إليكم بكل حال، كرهتم أو أحببتم ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقول: وإذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وآجالكم، بل إنما تمتعون في هذه الدنيا إلى الوقت الذي كُتِب لكم، ثم يأتيكم ما كَتَب لكم وعليكم»[٥].

قال ابن عطية: «فأخبر الله تعالى عن بيوتهم أنها ليست كما ذكروه وأن قصدهم الفرار، وأن ما أظهروه من أنهم يريدون حماية بيوتهم وخاصة نفوسهم ليس كذلك،

(١) الكشف والبيان (٨/ ١٩)، زاد المسير (٣/ ٤٥٢).
(٢) تأويلات أهل السنة (٨/ ٣٦٢)، بحر العلوم (٣/ ٥١).
(٣) النكت والعيون (٤/ ٣٨٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٤٩)، البحر المحيط (٨/ ٤٦٠).
(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٢٦-٢٢٧).
(٥) المصدر السابق (٢٠/ ٢٢٨).

وأنهم إنما يكرهون نصر رسول الله ﷺ ويريدون حربه وأن يغلب، ولو دخلت المدينة من أقطارها واشتد الخوف الحقيقي، ثم سئلوا الفتنة والحرب لمحمد وأصحابه لطاروا إليها وأتوها محبين فيها، ولم يتلبثوا في بيوتهم لحفظها ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ قيل: قدر ما يأخذون سلاحهم» [(١)].

قال الرازي: «وقوله: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ إشارة إلى أن الأمور مقدرة لا يمكن الفرار مما وقع عليه القرار، وما قدره الله كائن فمن أمر بشيء إذا خالفه يبقى في ورطة العقاب آجلًا ولا ينتفع بالمخالفة عاجلًا» [(٢)].

وتحدث القرآن عن فرار يهود من الموت فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٦-٨].

قال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لليهود إن زعمتم أنكم ﴿أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ وكانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه [(٣)]، ﴿مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ سواكم [(٤)]، ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يعني: سلوا الموت، فقولوا: اللهم أمتنا [(٥)]، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قيلكم: أنكم أولياء لله من دون الناس، فإن الله لا يعذب أولياءه، بل يكرمهم وينعمهم، وإن كنتم محقين فيما تقولون فتمنوا الموت لتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها وغمومها، وتصيروا إلى روح الجنان ونعيمها بالموت [(٦)].

---

(١) المحرر الوجيز (٤/ ٣٧٤).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٥/ ١٦١).

(٣) معاني القران للزجاج (٥/ ١٧٠).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٧٩).

(٥) بحر العلوم (٣/ ٤٤٧).

(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٧٩).

وروى كثير من المفسرين أن الله تعالى جعل هذه الآية معجزة لمحمد ﷺ فيهم، وآية باهرة، وأعلمه أنه إن تمنى أحد منهم الموت في أيام معدودة مات وفارق الدنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**تمنوا الموت**» على جهة التعجيز، وإظهار الآية، فما تمناه أحدٌ خوفًا من الموت وثقة بصدق محمد ﷺ(١).

وقوله: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾ أي: ولا يتمنى اليهود الموت أبدًا(٢)، وقد قال الله عنهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾[البقرة: ٦٩]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال: رسول الله ﷺ: «إن كنتم في مقالتكم صادقين فقولوا: «اللهم أمتنا فوالذي نفسي في يده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار»(٤).

وقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي والتحريف والتبديل(٥).

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ذو علم بمن ظلم من خلقه، فأوبقها بكفره بالله(٦)، وقيل: عليمًا بحالهم بأنهم لا يتمنون الموت(٧)، وهي على العموم وهؤلاء اليهود داخلون فيهم دخولًا أوليًا(٨).

---

(١) المحرر الوجيز (٥/ ٣٠٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٧٩).

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٧٤) وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (ص٨٧٢): إسناده ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٩٩ رقم ٢٢٢٥) وقال الألباني في الصحيحة (٧/ ٨٧١ رقم ٣٢٩٦): إسناده صحيح.

(٥) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٦٩).

(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٧٩).

(٧) بحر العلوم (٣/ ٤٤٧).

(٨) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٦٩).

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ أي: إن الموت الذي تكرهونه وتأبون أن تتمنوه نازل بكم لا محالة(١)، ونظيره: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقوله: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ثم يردكم ربكم من بعد مماتكم إلى عالم غيب السموات والأرض(٢). ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيخبركم حينئذٍ ما كنتم تعملون من الأعمال سيئها وحسنها؛ لأنه محيط بجميعها ثم يجازيكم على ذلك المحسن بإحسانه والمسيء بما هو أهله(٣).

وتحدث القرآن الكريم عن فرار المشركين من الموت وكراهيتهم له فقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

قوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: كشفت لك عن اليقين الذي تمتري فيه(٤).

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تفر وتهرب(٥)، وهو مستعار لكراهية أو تجنب أسباب الموت(٦).

قال ابن عاشور: «وهم المشركون لأنهم أشد كراهية للموت، لأن حياتهم مادية محضة فهم يريدون طول الحياة قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] إذ لا أمل لهم في حياة أخرى ولا أمل لهم في تحصيل نعيمها»(٧).

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٧٩)، بحر العلوم (٣/ ٤٤٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٨٠).

(٣) المصدر السابق.

(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٩).

(٥) تفسير السمعاني (٥/ ٢٤١)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٠٢)، تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٩).

(٦) التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٠٦).

(٧) التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٠٦).

الفصل الثاني

أسباب الفرار

تعددت أسباب الفرار في كتاب الله الكريم بين سبب مشروع (مرخص فيه) وآخر محظور ومن هذه الأسباب:

أولًا: الفرار خشية الأذية في الدين أو البدن.

وهو فرار مشروع بل قد يصل حد الوجوب، ومنه فرار نبي الله إبراهيم عليه السلام عند قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩].

قال ابتن إسحاق: «خرج إبراهيم من كوثى من أرض العراق مهاجرًا إلى ربه، وخرج معه لوط وسارة كما قال الله سبحانه: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت:٢٦] فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة الله حتى نزل حرّان ... »[(١)].

وقال ابن العربي: «أقسام السفر في الأرض ... الرابع: الفرار من الأذية في البدن؛ وذلك فضل من الله ﷻ أرخص فيه، فإذا خشي المرء على نفسه في موضع فقد أذن الله سبحانه له في الخروج منه، والفرار بنفسه؛ ليخلصها من ذلك المحذور. وأول من حفظناه فيه الخليل إبراهيم عليه السلام لما خاف من قومه قال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت:٢٦]، وقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] وموسى قال الله سبحانه فيه: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، وذلك يكثر تعداده» [(٢)].

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ٢٨٣).

(٢) أحكام القرآن (١/ ٦١٢)

وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:٧١].

قال الشنقيطي: «وهذه الآية الكريمة تشير إلى هجرة إبراهيم ومعه لوط من أرض العراق إلى الشام فرارًا بدينهما... وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الفرار بالدين من دار الكفر إلى بلد يتمكن فيه الفار بدينه من إقامة دينه – واجب. وهذا النوع من الهجرة وجوبه باق بلا خلاف بين العلماء في ذلك» (١).

ويلحق بهذا النوع فرار نبي الله موسى عليه السلام فقد قال لقومه: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ [الشعراء: ٢١]، والمعنى: هربت منكم إلى مدين لما خفتكم على نفسي أن تقتلونني فوهب لي ربي حكمًا: أي النبوة(٢). قال القشيري: «يجوز حمله على ظاهره وأنه خاف منهم على نفسه والفرار عند عدم الطاقة غير مذموم عند كل أحد» (٣).

وسبب فراره عليه السلام بينه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [الشعراء: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص:٢٠] وهو تحريض قوي لموسى على الفرار(٤)، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:٢١] وفيه دليل قوي على جواز الفرار من مواطن الهلاك، يفر من الله إلى الله، ولا ينافي التوكل، وقد اختفى ﷺ من الكفار بغار ثور(٥).

(١) أضواء البيان (٤/ ١٦٤).
(٢) بحر العلوم (٢/ ٥٥٢).
(٣) لطائف الاشارات (٣/ ٩).
(٤) التفسير القرآني للقرآن (١٠/ ٣٣٠).
(٥) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٢٤٠).

ثانيًا: الفرار بسبب الرعب والهلع.

وهو فرار طبعي جبلي ناتج عن الطبيعة البشرية، ومن ذلك الفرار من أهل الكهف قال تعالى واصفًا حالهم: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف: ١٨].

قوله: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ﴾ أي: لو اطلعت عليهم في رقدتهم التي رقدوها في كهفهم؛ لأدبرت عنهم هاربًا منهم فارًا[(١)].

و﴿فِرَارًا ﴾ منصوب على المصدر؛ لأن معنى (وليت) فررت منهم[(٢)].

﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ أي: فزعًا وخوفًا[(٣)]، وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي: يملؤه[(٤)].

وسبب الفرار رعبًا:

١.أن تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد[(٥)]، «لما كان الله ألبسهم من الهيبة، كي لا يصل إليهم واصل، ولا تلمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله، وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه، وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده، ليعلموا أن وعد الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها»[(٦)].

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٦).
(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٧٥).
(٣) التفسير البسيط للواحدي (١٣/ ٥٦٣).
(٤) الكشاف (٢/ ٧٠٩).
(٥) الكشف والبيان (٦/ ١٦١).
(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٦).

٢. وقيل: لأن أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام[١].

٣. وقيل: لوحشة المكان الذي هم فيه[٢].

٤. وقيل: لكثرة شعورهم وطول أظفارهم، وتقلبهم من غير حس المستيقظ[٣].

وهو قول بعيد، فلو كانت حالهم هكذا لم يقولوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف:١١][٤].

ثالثًا: الفرار بسبب الوباء.

وهو فرار مذموم (محظور) ومن هذا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وفي الآية قولان:

الأول: أنهم قوم خرجوا فرارًا من الطاعون، فأماتهم الله، فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم.

الثاني: أنهم قوم خرجوا فرارًا من الجهاد في سبيل الله فأماتهم الله، ثم أحياهم وأمرهم أن يجاهدوا عدوهم فذلك قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٤][٥].

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ١٦١)، الهداية (٦/ ٤٣٦٦)، المحرر الوجيز(٣/ ٥٠٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٧٣).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) المحرر الوجيز(٣/ ٥٠٤).

(٥) انظر القولين في: تفسير الطبري (٥/ ٢٦٦)، معالم التنزيل (١/ ٣٢٨)، الكشاف (١/ ٢٩٠)، تفسير ابن عطية (١/ ٣٢٧)، زاد المسير (١/ ٢١٩)، مفاتيح الغيب (٦/ ٤٩٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٦٦١).

وأصح هذه الأقوال وأبينها وأشهرها أنهم خرجوا فرارًا من الوباء (الطاعون)[١]، والآية تدل على أن الفرار من الطاعون حرام في تلك الشريعة كما حرم في شرعنا ويدل عليه:

١.حديث عبدالله بن عامر بن ربيعة: أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام، فلما جاء بسرغ، بلغه أن الوباء وقع بالشام، فأخبره عبدالرحمن بن عوف: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه»[٢].

٢. حديث عائشة ﷺ قالت يا رسول الله ما الطاعون؟ قال: «**غدة كغدة البعير، المقيم فيه كالشهيد والفار منه كالفار من الزحف**»[٣].

٣. حديث أنس، أن نبي الله ﷺ قال: «**لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة، الكلمة الطيبة**» [٤].

وأما قوله: «**فرّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد**» [٥]، وقوله: «**لا يورد ممرض على مصح**» [٦]، فهو محمول على حسم المادة، وسد الذريعة، لئلا يقال إذا أصاب الصحيح عاهة بعد إيراد ذي عاهة عليه: إنما أعداه ما ورد عليه[٧].

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٠٤)، الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٣٢)، تيسير الكريم الرحمن(ص٩٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٢٦ رقم ٦٩٧٣)، ومسلم (٤/ ١٧٤٢ رقم ٢٢١٩).

(٣) أخرجه أحمد (٤٢/ ٥٣ رقم ٢٥١١٨) وقال الألباني في الإرواء (٦/ ٧٢ رقم ١٦٣٨): صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٧/ ١٣٥ رقم ٥٧٥٦)، ومسلم (٤/ ١٧٤٦ رقم ٢٢٢٤).

(٥) أخرجه البخاري (٧/ ١٢٦ رقم ٥٧٠٧).

(٦) أخرجه البخاري (٧/ ١٣٨ رقم ٥٧٧١)، ومسلم (٤/ ١٧٤٣ رقم ٢٢٢١).

(٧) أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٦٤).

والحكمة من النهي عن الفرار من الطاعون:

١. أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لما بقي في البلد إلا المرضى الذين أقعدهم الطاعون، وانكسرت قلوبهم ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام، وهم يعجزون عن مباشرتها بأنفسهم فيكون ذلك سعيًا في إهلاكهم تحقيقًا[١].

٢. حمل النفوس على الثقة بالله والتوكل عليه والصبر على أقضيته والرضا بها[٢].

أما الحكمة من النهي عن القدوم على أرض بها الطاعون؛ لأنه إذا دخلها وبها الطاعون فجائز أن تدركه منيته وأجله، فيقول قائل: لو لم يدخلها ما مات، فإنما نهاه عن دخولها لئلا يقال هذا[٣].

رابعًا: الفرار لهول الموقف.

وهو الفرار يوم القيامة من المعارف وأصحاب العلائق؛ لأن الهول عظيم والخطب جليل وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣-٣٧].

الصاخة هنا: اسم من أسماء القيامة[٤]، واللفظة في حقيقتها إنما هي لنفخة الصور التي تصخ الآذان، أي: تصمها[٥].

وصاحبته: يعني: زوجته التي كانت زوجته في الدنيا[٦].

وهل الفرار هنا حقيقي أم مجازي؟ فيه قولان:

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٢٩١).

(٢) زاد المعاد لابن القيم (٤/ ٣٩).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٦٥-١٦٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٢).

(٥) المحرر الوجيز(٥/ ٤٤٠).

(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٢).

الأول: فرار حقيقي وهو التباعد والاحتراز[١]، أي: يراهم، ويفر منهم، ويبتعد عنهم؛ لأن الهول عظيم والخطب جليل[٢].

الثاني: فرار مجازي، والمقصود: الفرار من موالاته ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة:١٦٦]، أو الفرار من نصرته ويدل عليه: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان:٤١]، أو ترك السؤال ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج:١٠][٣].

والراجح والله أعلم أن المرء يفر من معارفه حقيقة ويفر من موالاتهم ونصرتهم والسؤال عنهم أيضًا لشغله بنفسه.

وهل هذا الفرار خاص بالكفار أم هو عام في المسلمين والكفرة جميعًا؟

قيل: هو في الكفرة خاصة، وأما أهل الإسلام فإنه يجوز أن تبقى بينهم حقوق القرابة كما بقيت المودة فيما بين الأخلاء بقوله: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وقيل: هو عام في المسلمين والكفرة جميعًا. فجائز أن يكون الفرار من المسلمين في بعض الأحوال، وذلك في الوقت الذي لم يتفرغ عن شغل نفسه، فأما إذا أمن وجاءته البشارة فهو يقوم بشفاعته، ويسأل عن أحواله ولا يفر منه[٤].

ثم لماذا خص هؤلاء بالذكر؟

لأنهم أخص القرابة، وأولاهم بالحنو والرأفة، فالفرار منهم لا يكون إلا لهول عظيم وخطب فظيع[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب (٣١/ ٦١).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٥).

(٣) التفسير البسيط للواحدي (٢٣/ ٢٣٨)، مفاتيح الغيب (٣١/ ٦١).

(٤) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٤٢٨).

(٥) فتح القدير (٥/ ٤٦٦)، فتح البيان للقنوجي (١٥/ ٨٨).

(واختلف المفسرون في سبب الفرار في هذا الموطن) على أقوال:

فقيل: فرّ حذرًا من مطالبتهم إياه بما بينه وبينهم من التبعات والمظالم[١].

وقيل: فرّ منهم لعلمه بأنهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه من الله شيئًا[٢].

وقيل: لئلا يروا ما هو فيه من الشدة[٣].

وقيل: يفر منهم ويبتعد عنهم، لأن الهول عظيم والخطب جليل[٤].

قال ابن عطية: "وقال جمهور الناس إنما ذلك لشدة الهول على نحو ما روي أن الرسل تقول يومئذٍ: (نفسي نفسي)"[٥][٦].

وقيل: إنما هو لاشتغاله بنفسه كما قال الله تعالى بعده: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧][٧]. وهو أقواها لدلالة السياق عليه.

وقوله: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ لكل واحد من هؤلاء المذكورين (شأن) أمر عظيم يكفيه ويشغله ويصرفه عن غيره[٨].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: « **يبعث الله عز وجل الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا** »، فقالت عائشة: يا رسول الله، فكيف بالعورات؟ قال: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[٩].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٢).

(٢) الكشف والبيان (١٠/ ١٣٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٢٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٥).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٣٤ رقم ٣٣٤٠) ومسلم (١/ ١٨٤ رقم ١٩٤) وهو جزء من حديث الشفاعة الطويل المروي عن أبي هريرة.

(٦) المحرر الوجيز(٥/ ٤٤٠).

(٧) النكت والعيون (٦/ ٢٠٩).

(٨) تفسير السمعاني (٦/ ١٦٢).

(٩) أخرجه أحمد (٤١/ ١٣٦ رقم ٢٤٥٨٨) والنسائي (٤/ ١١٤ رقم ٢٠٨٣) وقال الألباني: صحيح انظر صحيح سنن النسائي (٥/ ٢٢٨ رقم ٢٠٨٣).

الفصل الثالث

علامات الفرار وآثاره

وفيه مبحثان:

المبحث الأول

علامات الفرار

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علامات الفرار المحمود.

أولًا: الهجرة.

الهجرة من علامات الفرار المحمود وهي: الفرار من مكان إلى مكان لسبب كالدين[(١)].

وقد هاجر الأنبياء والصالحون فرارًا بدينهم، ومن ذلك هجرة نبينا إبراهيم ولوط عليهما السلام قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:٧١].

قال الشنقيطي: «وهذه الآية الكريمة تشير إلى هجرة إبراهيم ومعه لوط من أرض العراق إلى الشام فرارًا بدينهما... وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الفرار بالدين من دار الكفر إلى بلد يتمكن فيه الفار بدينه من إقامة دينه - واجب. وهذا النوع من الهجرة وجوبه باق بلا خلاف بين العلماء في ذلك»[(٢)].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾[العنكبوت:٢٦] وقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

وهاجر أصحاب الكهف فرارًا بدينهم فقال تعالى عنهم: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم للحميدي (ص٢٠٠).

(٢) أضواء البيان (٤/ ١٦٤).

ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف:١٠] قال الخطيب: إنه الفرار إلى أرض غير هذه الأرض، والهجرة إلى بلد غير هذا البلد[١].

وهاجر النبي محمد ﷺ من مكة إلى المدينة فرارًا بدينه فقال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ٤٠].

ووصف أهل الإيمان عند قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[الأنفال:٧٢].

وصفهم بالإيمان الصادق وبالمهاجرة فرارًا بدينهم من الفتن وبالمجاهدة بالمال والنفس في سبيل إعلاء كلمة الله[٢].

وآيات الهجرة في القرآن الكريم كثيرة ليس هذا موضع سردها[٣]. وسبق الحديث عن الفرار بالدين في أنواع الفرار وهو نوع من الهجرة إلى الله.

ثانيًا: مفارقة محل المعصية.

مفارقة محل المعصية علامة من علامات الفرار المحمود؛ فإذا فارق العبد محل المعصية دل على فراره إلى ربه، ومن ذلك فرار نبي الله يوسف عليه السلام من امرأة

(١) التفسير القرآني للقرآن (٨/ ٥٩٩).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٦/ ٣٣٠٨).

(٣) للاستزادة راجع رسالة الهجرة في القرآن لأحزمي سامعون جزولي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

العزيز حين دعته إلى فعل الفاحشة قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾ [يوسف: ٢٥].

قوله: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ أي: فرّ يوسف من أمامها هاربًا إلى باب الدار يريد الخروج منه للنجاة منها، ترجيحًا للفرار على الدفاع الذي لا يعرف مداه(١).

وكان قد سبقها يوسف عليه السلام بقوة الرجولية وقوة الداعية إلى الفرار إلى الله (٢).

وذكر السعدي من فوائد السورة: "أنه ينبغي للعبد إذا ابتلي بالوقوع في محل فيه فتنة وأسباب معصية أن يفر ويهرب غاية ما يمكنه، ليتمكن من التخلص من ذلك الشر، كما فرّ يوسف هاربًا إلى الباب، وهي تمسك بثوبه وهو مدبر عنها"(٣).

والمسارعة إلى فعل الطاعات وترك المنكرات، والمداومة على الأعمال الصالحة وترك المعاصي، وفعل الخير كله من علامات الفرار إلى الله (الفرار المحمود).

المطلب الثاني: علامات الفرار المذموم.

أولًا: تولية الأدبار.

من علامات الفرار المذموم تولية الدبر: وهو الفرار من القتال بين المسلمين والكفار إذا حضر المعركة(٤).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

وتولية الأدبار كناية عن الفرار؛ فإن الذي استأذنوا لأجله في غزوة الخندق أرادوا منه الفرار ألا ترى قوله: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا﴾[الأحزاب:١٣] والفرار مما

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (١٢/ ٢٣٦)، تفسير المراغي (١٢/ ١٣٢).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٠/ ٦٦).

(٣) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/ ٢٧٨).

(٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للفوزان (١/ ٣٥٠).

عاهدوا الله على تركه[(١)].

وسبق الحديث عن الفرار من الزحف عند أنواع الفرار.

ثانيًا: الركض.

من علامات الفرار المذموم الركض فرارًا من عذاب الله قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ١٣ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾[الأنبياء:١٢-١٦].

قوله: ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ﴾ يفرون[(٢)]. و﴿لَا تَرۡكُضُواْ﴾: لا تفروا[(٣)]، قيل: إن الملائكة نادتهم بذلك عند فرارهم[(٤)].

«والآية وصف حال كل قرية من القرى المعذبة، وأن أهل كل قرية كانوا إذا أحسوا العذاب من أي نوع كان أخذوا في الفرار»[(٥)].

«وهذا الفرار منهم أبلغ في الجهل وأبعد عن السداد، إذ أنهم يقيسون أخذ الله القادر القاهر بأخذ الناس للناس فظنوا الهرب منجيًا، فهربوا فلاحقهم عذاب الله» [(٦)].

ثالثًا: النكوص على الأعقاب.

من علامات الفرار المذموم النكوص على الأعقاب قال تعالى عن الشيطان: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ٢٨٩).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٦).
(٣) المصدر السابق.
(٤) فتح القدير (٣/ ٤٧٣).
(٥) المحرر الوجيز(٤/ ٧٦).
(٦) التفسير الوسيط. مجمع البحوث(٦/ ١٠٩٦).

لَّكُمُ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[الأنفال:٤٨].

النكوص: الرجوع من حيث أتى وهو الفرار[١]. ومعنى: ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ رجع من حيث جاء، وأصل النكوص في اللغة: الرجوع القهقرى[٢]، قال زهير:

هم يضربون حبيك البيض إذ لحقوا لا ينكصون إذا ما استلحموا وحموا[٣]

قال ابن عطية : «فليس هنا قهقرى بل هو فرار،...وقوله: ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ يبين أنه إنما أراد الانهزام والرجوع في ضد إقباله، وقوله: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ﴾ هو خذلانه لهم وانفصاله عنهم، وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ يريد الملائكة، وهو الخبيث إنما شرط أن لا غالب من الناس فلما رأى الملائكة وخرق العادة خاف وفرّ» [٤].

«وتظاهر في السير أن إبليس جاء كفار قريش يوم بدر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو سيد من ساداتهم، فقال لهم: «إني جار لكم» ولن تخافوا من قومي، وهم لكم أعوان على مقصدكم، ولن يغلبكم أحد، فسرُّوا عند ذلك ومضوا لطيتهم، وقال لهم: أنتم تقاتلون عن دين الآباء ولن تعدموا نصرًا. فروي أنه لما التقى الجمعان كانت يده في يد الحارث بن هشام، فلما رأى الملائكة نكص، فقال له الحارث: أتفر يا سراقة؟! فلم يلو عليه، فذهب ووقعت الهزيمة، فتحدث أن سراقة فرّ بالناس، فبلغ ذلك سراقة بن مالك، فأتى مكة فقال لهم: والله ما علمت بشيء

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ٨٥).
(٢) المحرر الوجيز(٢/ ٥٣٨).
(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى (ص١١٧).
(٤) المحرر الوجيز(٢/ ٥٣٨).

من أمركم حتى بلغتني هزيمتكم ولا رأيتكم ولا كنت معكم» [(١)].

رابعًا: انزلاق الأقدام.

ثبات الأقدام كناية عن عدم الفرار، وانزلاقها كناية عن الفرار قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٥٠].

قوله:﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي: في لقاء الأعداء وجنبنا الفرار والعجز[(٢)].

قال ابن عاشور: «﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ تثبيت الأقدام استعارة لعدم الفرار، شبه الفرار والخوف بزلق القدم، فشبه عدمه بثبات القدم في المأزق»[(٣)].

قال أبو زهرة: "قولهم: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾، وهذا كناية عن أن يمنحهم سبحانه وتعالى الثبات في الزحف وعدم الفرار في النزال، فمعنى: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾، أي ثبتنا، ومكنا من عدونا، ولا تمكن عدونا منا، ولا تجعل للفرار سبيلًا إلى قلوبنا، فالتعبير بقوله: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ تعبير بالجزء وإرادة الكل؛ لأن الأقدام هي التي يكون بها الفرار، فتثبيتها إبعاد للفرار بثبات أداته وعدم تحركها إلا إلى الأمام، وأن الثبات مظهر الصبر، وذريعة النصر»[(٤)].

(١) المحرر الوجيز(٢/ ٥٣٨) وانظر: سيرة ابن إسحاق (١/ ٣٠٥)، مغازي الواقدي (١/ ٣١)، سيرة ابن هشام (١/ ٦١٢)، (١/ ٦٦٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٦٦٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢/ ٤٩٩).

(٤) زهرة التفاسير (٢/ ٩٠٦).

المبحث الثاني

آثار الفرار

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار الفرار المحمود.

الفرار إلى الله طريق الفلاح، والحياة الطيبة، وسعة الرزق، ورغد العيش، وتكفير السيئات وغفران الخطيئات، ونور البصيرة، وانشراح الصدر، وصقل القلب وطهارته ووضاءته، ومحبة الله وسبيل للظفر برحمة الله الواسعة، وحفظ الله ورعايته للعبد، وإغاظة الشيطان، وراحة القلب، وقرة العين، وسكينة النفس.

قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات: ٥٠] فروا من كل شيء إلى الله بالتوجه والمحبة والاستغراق وامتثال الأوامر، وكسب السعادات حتى تخلصوا من النقائص والشرور، وتفوزوا بالخيرات وتصعدوا مصاعد القرب والكمال(١). فاهربوا إليه بالطاعة كي تنجو من عقابه وتفوزوا بثوابه(٢).

وسمى الله الرجوع إليه فرارًا؛ لأن في الرجوع لغيره أنواع المخاوف والمكاره، وفي الرجوع إليه، أنواع المحاب والأمن والسرور والسعادة والفوز(٣).

ومن فر بدينه مهاجرًا في سبيل الله وجد في الأرض (سعة وتمكينًا) قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗ﴾ [النساء: ١٠٠] ، أي: ملجأ ومحولاً من الكفر إلى الإيمان وسعة من الرزق(٤). وتمكينًا وإظهارًا للدين(٥).

---

(١) التفسير المظهري (٩/ ٨٩).

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد للجاوي (٢/ ٤٥٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص٨١٢).

(٤) بحر العلوم (١/ ٣٣٢).

(٥) زاد المسير (١/ ٤٥٧).

ومن فر بدينه فمات فقد نال أجر فراره قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء: ١٠٠] أي: فقد استوجب ثواب هجرته، إن لم يبلغ دار هجرته باختراع المنية إياه قبل بلوغه إياها(١).

وإذا قوي إيمان العبد فرّ منه الشيطان كما قال الرسول ﷺ لعمر: «**والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك**» (٢)، وفي الرواية الأخرى: «**إني لأحسب الشيطان يفر منك يا عمر**»(٣) فإذا قوي إيمان العبد، وتسلح بكتاب الله، وبالذكر الوارد عن رسول الله ﷺ، فرّ الشيطان منه، ولم يجد إليه منفذًا ولا سبيلًا.

ومن رحمة الله بنا أنه إذا علم من عبده صدق الفرار إليه أعانه، ووفقه ولم يتركه وحده قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]، ويقول:﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨].

وكلما ازدادت سرعة فرار العبد إلى مولاه كان له ربه أقرب ففي الحديث القدسي: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**» (٤).

فالله تعالى أكرم من عبده فإذا فرّ العبد إليه كان الله له أسرع.

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٢٦ رقم ٣٢٩٤) ومسلم (٤/ ١٨٦٣ رقم٢٣٩٦).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨/ ٩٣ رقم ٢٢٩٨٩)، والترمذي في سننه (٦/ ٦٢ رقم٣٦٩٠)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٣١٥ رقم ٦٨٩٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ١٤٢ رقم ١٦٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٩/ ١٢١ رقم ٧٤٠٥) ومسلم (٤/ ٢٠٦١ رقم ٢٦٧٥).

المطلب الثاني: آثار الفرار المذموم.

من أحجم عن الفرار إلى الله وفرّ إلى غيره حرم الخير كله فحصل له العذاب في الآخرة، وضنك العيش في الدنيا، وحرم الرزق، وسعة العيش وحرم الطاعة، ومحقت بركة عمره، ووهن قلبه وبدنه، وتعسرت أموره، وزالت النعمة عنه، وامتلأ قلبه رعبًا وخوفًا، وعوقب بخلاف مقصوده فمن فرّ من الموت لم ينفعه فراره قال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦]. ومن فرّ من العذاب وقع فيه ولم ينفعه فراره قال تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣].

والفرار من الزحف من الكبائر التي وعد الله تعالى أصحابها سوء العاقبة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا عاقبة المتخلفين عن ركب المجاهدين والشهداء الخزي والعار والفضيحة، وفي الآخرة الغضب من الله ونار جهنم، لأنهم خالفوا أمر الله ورسوله وركنوا إلى ملذات الدنيا الفانية والشهوات الزائلة قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال:١٦]، ومقت الله لهم ولفرارهم: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة:٤٦].

الخاتمة

في نهاية المطاف هذه أبرز نتائج البحث:

١. من خلال الوقوف على معنى الفرار تبين أن للفرار معان ونظائر قرآنية متعددة.

٢. الفرار من عبادة الأوثان ومن أنواع الشرك كلها، ومن المعاصي، ومن طاعة الشيطان ومن الكفر والجهل والشك والغفلة كلها من صور الفرار إلى الله تعالى.

٣. أسرار جميلة وعجيبة في التعبير بلفظ (الفرار) عن غيره في قوله تعالى: (ففروا إلى الله) فالفرار صورة حسية عجيبة لا يقوم مقامها في هذا السياق أي لفظ آخر، فهي تستحثنا على وجه السرعة إلى البدار ما دمنا في هذه الدار.

٤. الفعل في (ففروا إلى الله) ضمن معنى لجأ واللجوء إلى كنف الله ورحمته هو منجاة من عذابه.

٥. الاستعاذة من الشيطان هي فرار منه إلى الرحمن الرحيم.

٦. الفرار بالدين سنة الأنبياء والصالحين فقد هجروا أوطانهم وديارهم، رجاء السلامة بالدين، وخشية الفتنة ونزول الظلم بهم.

٧. آيات الجهاد في القرآن هي دعوة للفرار في سبيل الله، وترك الدنيا وملذاتها.

٨. اتخذ الكفار وسائل عدة للفرار عن الإيمان والدعوة الحق صورها لنا القرآن الكريم في عدة مواطن.

٩. محاولة الكفار الفرار من عذاب الله الدنيوي والأخروي وعجزهم عن ذلك.

١٠. الفرار من الزحف كبيرة من كبائر الذنوب، إلا إذا كان الفرار تحرفًا لقتال أو تحيزًا إلى فئة أو يكون عدد الكفار ضعف المسلمين.

١١. من أسباب الفرار: الفرار خشية الأذية في الدين أو البدن، أو الفرار بسبب الرعب والهلع الواقع على النفس، أو الفرار بسبب نزول الوباء، أو لهول الموقف وشدته.

١٢. الهجرة، ومفارقة محل المعصية، والدوام على الطاعات وسائر العبادات من علامات الفرار المحمود.

١٣. تولية الأدبار، والركض والنكوص على الأعقاب من علامات الفرار المذموم.

١٤. الفلاح والسعادة وسعة الرزق وتكفير السيئات وحصول الجنات من آثار الفرار المحمود.

١٥. ضنك العيش في الدنيا، والعذاب في الآخرة من آثار الفرار المذموم.

فهرس المصادر والمراجع

١. **أحكام القرآن**، الجصاص، المحقق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥ هـ.

٢. **أحكام القرآن**، لابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ.

٣. **إحياء علوم الدين**، الغزالي، دار المعرفة – بيروت. د.ت.

٤. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت. د.ت.

٥. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثانية. ١٤٠٥هـ.

٦. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ .

٧. **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**، الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤٢٣هـ.

٨. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى – ١٤١٨ هـ.

٩. **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، القونوي، المحقق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

١٠. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الخامسة. ١٤٢٤هـ.

١١. **بحر العلوم**، السمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر –بيروت. د.ت.

١٢. **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر –بيروت، ١٤٢٠ هـ.

١٣. **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، لابن عجيبة، المحقق: أحمد رسلان، نشر: حسن عباس زكي – القاهرة، ط: ١٤١٩ هـ.

١٤. **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، الكاساني، دار الكتب العلمية، ط: الثانية. ١٤٠٦هـ.

١٥. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، الفيروزآبادى، المحقق: محمد النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة. ١٤١٦هـ.

١٦. **تأويلات أهل السنة**، أبو منصور الماتريدي، المحقق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى.١٤٢٦هـ.

١٧. **تاج العروس من جواهر القاموس**، الزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية. د.ت.

١٨. **التحرير والتنوير**، لابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

١٩. **تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب**، لأبي حيان، المحقق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، ط: الأولى.١٤٠٣هـ.

٢٠. **تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير**، تحقيق: محمادي الخياطي، المركز الجامعي للبحث العلمي – الرباط، ط: الأولى. ١٤١٨هـ.

٢١. **التسهيل لعلوم التنزيل**، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم– بيروت، ط: الأولى. ١٤١٦هـ.

٢٢. **التضمين النحوي في القرآن الكريم**، محمد نديم فاضل، دار الزمان، المدينة المنورة، ط: الأولى. ١٤٢٦هـ.

٢٣. **تفسير ابن أبي حاتم**، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية، ط: الثالثة. ١٤١٩هـ.

٢٤. **تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم)**، المحقق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية.١٤٢٠هـ.

٢٥. **تفسير الإمام الشافعي**. تحقيق: أحمد الفران، دار التدمرية – السعودية، ط: الأولى. ١٤٢٧هـ.

٢٦. **التفسير البسيط**، الواحدي، رسائل دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط: الأولى. ١٤٣٠هـ.

٢٧. **التفسير الحديث**، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ١٣٨٣ هـ.

٢٨. **تفسير السمعاني**، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ط: الأولى.١٤١٨هـ.

٢٩. **تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى.١٤٢٠هـ.

٣٠. **تفسير العز بن عبد السلام**، المحقق: عبد الله الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، ط: الأولى.١٤١٦هـ.

٣١. **التفسير القرآني للقرآن**، الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة. د: ط، د:ت.

٣٢. **التفسير القيم لابن القيم**، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: الأولى. ١٤١٠هـ.

٣٣. **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى.١٣٦٥هـ.

٣٤. **التفسير المظهري**، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، ط: ١٤١٢هـ.

٣٥. **تفسير المنار**، المؤلف: محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٣٦. **التفسير الوسيط للزحيلي**، دار الفكر – دمشق، ط: الأولى. ١٤٢٢هـ.

٣٧. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر، الفجالة، ط: الأولى. ١٩٩٧م.

٣٨. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، علماء الأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: الأولى.١٣٩٣هـ.

٣٩. **تفسير آيات من القرآن الكريم**، محمد بن عبد الوهاب، المحقق: الدكتور محمد بلتاجي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض. د: ط، د:ت.

٤٠. **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**، الحميدي، المحقق: زبيدة محمد سعيد، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.

٤١. **تهذيب اللغة**، الأزهري، المحقق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى. ٢٠٠١م.

٤٢. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، السعدي، المحقق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى. ١٤٢٠هـ.

٤٣. **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**، السعدي، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية، السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٤. **التيسير في أحاديث التفسير**، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى. ١٤٠٥هـ.

٤٥. **جامع البيان في تفسير القرآن**، الإيجي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٤٦. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ.

٤٧. **جمهرة اللغة**، لابن دريد، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الأولى، ١٩٨٧م.

٤٨. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.

٤٩. **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، دار الفكر، د:ط، د:ت.

٥٠. **حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي**، دار صادر، بيروت. د:ط، د:ت.

٥١. **الحجة في القراءات السبع**، لابن خالويه، المحقق: د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠١هـ.

٥٢. **الحجة للقراء السبعة**، لأبي علي الفارسي، المحقق: بدر الدين قهوجي وآخرون، دار المأمون للتراث – دمشق، ط: الثانية، ١٤١٤هـ.

٥٣. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم، دار السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ.

٥٤. **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤٠٥ هـ.

٥٥. **ديوان زهير بن أبي سلمى**، شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٥٦. **رد المحتار على الدر المختار**، ابن عابدين، دار الفكر–بيروت، ط: الثانية، ١٤١٢هـ.

٥٧. **روح البيان**، إسماعيل حقي، دار الفكر، بيروت. د: ط، د:ت.

٥٨. **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٩. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

٦٠. **الزهد الكبير**، البيهقي، المحقق: عامر حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط: الثالثة، ١٩٩٦م.

٦١. **زهرة التفاسير**، لأبي زهرة، دار الفكر العربي، د: ط، د:ت.
٦٢. **السبعة في القراءات**، لابن مجاهد، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط: الثانية، ١٤٠٠هـ.
٦٣. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
٦٤. **سنن الترمذي**، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٩٨م.
٦٥. **السنن الكبرى**، البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ.
٦٦. **سنن النسائي (المجتبى من السنن)** تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط: الثانية، ١٤٠٦ هـ.
٦٧. **سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)**، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط: الأولى، ١٣٩٨هـ.
٦٨. **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية، ١٣٧٥هـ.
٦٩. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، للجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٧هـ.
٧٠. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤هـ.
٧١. **صحيح البخاري**، المحقق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٧٢. **صحيح سنن النسائي**، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.
٧٣. **صحيح مسلم**، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. د:ط، د:ت.
٧٤. **صفوة التفاسير**، الصابوني، دار الصابوني، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.
٧٥. **ضعيف سنن الترمذي**، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.
٧٦. **العين**، الخليل، المحقق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال. د:ط، د:ت.
٧٧. **فتح البيان في مقاصد القرآن**، القنوجي، المكتبة العصرية ، صيدا، ١٤١٢ه.
٧٨. **فتح القدير**، الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

٧٩. **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط: السابعة عشر. ١٤١٢هـ.
٨٠. **كتاب الأفعال**، لابن القطاع، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ.
٨١. **كشاف القناع عن متن الإقناع**، البهوتي، دار الكتب العلمية. د:ط، د:ت.
٨٢. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ.
٨٣. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى،١٤٢٢هـ.
٨٤. **لسان العرب**، لابن منظور، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ.
٨٥. **لطائف الإشارات**، القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط: الثالثة، د:ت.
٨٦. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ.
٨٧. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، المحقق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٨٨. **المحكم والمحيط الأعظم**، لابن سيده، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.
٨٩. **المخصص**، لابن سيده، المحقق: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.
٩٠. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، لابن القيم، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٦هـ.
٩١. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، النسفي (المتوفى:٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.
٩٢. **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**، لمحمد بن عمر نووي، المحقق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.
٩٣. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.

٩٤. **مصنف ابن أبي شيبة**، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط: الأولى، ١٩٩٧م.

٩٥. **مصنف عبد الرزاق الصنعاني**، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ.

٩٦. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٩٧. **معاني القرآن وإعرابه**، للزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٩٨. **معاني القرآن، الفراء**، المحقق: أحمد النجاتي وآخرون، دار المصرية – مصر،ط: الأولى، د:ت.

٩٩. **المعجم الكبير**، الطبراني، المحقق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط: الثانية، ١٤١٥هـ.

١٠٠. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، المؤلف: د أحمد مختار بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٠١. **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة. د:ط، د:ت.

١٠٢. **معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

١٠٣. **المغازي**، الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٩م.

١٠٤. **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار**، العراقي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

١٠٥. **المغني**، لابن قدامة، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

١٠٦. **مفاتيح الغيب**، الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

١٠٧. **المهذب في فقه الإمام الشافعي**، الشيرازي، دار الكتب العلمية. د:ط، د:ت.

١٠٨. **الموسوعة القرآنية**، الأبياري، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥ هـ.

١٠٩. **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، التهانوي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٦م.

١١٠. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. د:ط، د:ت.

١١١. **النكت والعيون**، الماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت. د: ط، د:ت.

١١٢. **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، الرملي، دار الفكر، بيروت، ط: أخيرة، ١٤٠٤هـ.

١١٣. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ.

١١٤. **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره**، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب، المحقق: مجموعة رسائل جامعية، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ.

١١٥. **الوجوه والنظائر**، لأبي هلال العسكري، حققه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	١٠٩
المقدمة	١١٠
التمهيد	١١٤
المطلب الأول: الفرار في اللغة والقرآن	١١٤
المطلب الثاني: نظائر الفرار القرآنية	١١٦
الفصل الأول: أنواع الفرار	١٢٠
المبحث الأول : الفرار المحمود	١٢٠
المطلب الأول: الفرار إلى الله	١٢٠
المطلب الثاني: الفرار من الشيطان	١٢٥
المطلب الثالث: الفرار بالدين من الفتن والظلم	١٢٧
المطلب الرابع: الفرار للجهاد	١٢٩
المبحث الثاني: الفرار المذموم	١٣١
المطلب الأول: الفرار من الإيمان والدعوة	١٣١
المطلب الثاني: محاولة الكفار الفرار من عذاب وعجزهم عن ذلك	١٣٤
المطلب الثالث: الفرار من الزحف	١٣٩
المطلب الرابع: الفرار من الموت	١٤٢
الفصل الثاني: أسباب الفرار	١٤٧
الفصل الثالث: علامات الفرار وآثاره	١٥٥
المبحث الأول: علامات الفرار	١٥٥
المطلب الأول: علامات الفرار المحمود	١٥٥
المطلب الثاني: علامات الفرار المذموم	١٥٧
المبحث الثاني: آثار الفرار	١٦١
المطلب الأول: آثار الفرار المحمود	١٦١
المطلب الثاني: آثار الفرار المذموم	١٦٣
الخاتمة	١٦٤
فهرس المصادر والمراجع	١٦٦
فهرس الموضوعات	١٧٤